

الأقسام في القرآن

(170) (وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاها) إذ ينقلب معنى الآيتين أقسم برّبّ السماء وربّ ما بناها أي ربّبانيها ، وهكذا الحلف برّبّ الأرض وما طحاها ، أي ربّ طاحيها . إلى هنا تمّ الحلف بهذه الموجودات السماوية والأرضية والحية وغير الحية . أخبر سبحانه بأنّه بعد ما خلق النفس وسوّّاها واكتملت خلقتها ظاهراً وباطناً ، علّمها سبحانه التقوى والفجور ، وفهم من صحيح الذات ما هو الحسن والقبيح ، وقد تعلّم ذلك في منهج الفطرة ، وقد استعمل كلمة "ألهم" لأنّه بمعنى إلقاء الشيء في روع الإنسان من دون أن يعلم الملهم من أين أتى ، والإنسان يعلم من صميم ذاته الحسن والسيّء من دون أن يتعلّم عند أحد . وقد أشار سبحانه إلى هذا النوع من الهداية الباطنية في آيات أخرى ، وقال : (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) . (1) ولما حلف بالموجودات السماوية والأرضية غير الحيّة والحيّة ، وأنّه قد ألهم النفس الإنسانية طرق الصلاح والفلاح ، أو طرق الشر والضلال ، أتى بجواب القسم ، وهو قوله : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) ، فجعل "زكّاها" مقابل "دساها" فيعلم معنى الثاني من الأوّل ، فقال : (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) . والتزكية هو التطهير من الآثام ، مقابل التدسيس ، وهي إخفاء الرذائل والذنوب . إنّ قوله : (دَسَّاهَا) مشتق من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء من الشيء ، والتدسيس مصدر دسّس ، وهو من دس يدس تدسيساً ، ومعنى الآية فالإنسان _____ 1 - البلد: 10.